العلم العراقي نجمُ الاحتجاجات في ساحة العراق 2
اندبندنت: نساء يخاطرن بحياتهن للالتحاق بمحتجين يطالبون بتغيير سياسي 3
متظاهرون يحملون نسخاً محترقة من القرآن الكريم ويتجهون إلى مرقد الإمام الحسين 3

انتفاضة تشرين 2019 الرابع

ملحق يومي يوثق انتفاضة العراقيين يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون
العدد(4543) السنة السابعة عشرة - الاحد (10) تشرين الثاني 2019
http://www.almadapaper.net ■ Email: info@almadapaper.net ■

نساء التحرير وشهادات من قلب الاحتجاجات

بدت مساهمة المرأة في المظاهرات المتواصلة في العراق الظاهرة الأكثر لفتا للنظر في هذه الحركة الاحتجاجية التي طغت على شوارع العاصمة وبعض المدن العراقية في الأيام الأخيرة. وبدا حضور المرأة طاغيا في الصور ومقاطع الفيديو التي انتشرت في وسائل التواصل الاجتماعي عن هذه المظاهرات وأنشطتها المختلفة.

□ متابعة / المدى

ولعل تلك ليست ظاهرة جديدة، فمساهمة الحركة النسوية في الحراك السياسي والاجتماعي في العراق في العقدين الأخيرين كانت تبرز في لحظات مفصلية، كما هي الحال مع المظاهرات النسوية الحاشدة في عام ٢٠٠٣ التي اسقطت محاولة الأحزاب الدينية تغيير قانون الأحوال المدنية في العراق واستبداله بقانون آخر يستند إلى التشريعات الدينية في الطوائف المختلفة.

ريا المتواجدة في ساحة التحرير تعمل على إيصال التجهيزات والمواد الطبية والإمدادات للمتظاهرين وتحرص على الحضور يوميا إلى ساحة التحرير في قلب بغداد حيث يتجمع المحتجون، وكتبت تلخص تجربتها: أنا في ساحة التحرير، ليس بوصفي متظاهرة بل كأم. أخاف كثيرا على الشباب هنا وأتمنى أن لا يهدر دم أكثر، بل وأخاف حتى على من يرتدي الزي العسكري ويقف وهو خائف من الأوامر لأنه ابن بلدي ايضا. وأخاف على من في ساحة التحرير وفي "جبل أحد" وعلى الجسر لأن أغلبهم ولد بعد عام ٢٠٠٣، ولم يعيشوا تحت استبداد صدام حسين لكنهم شعروا بالفساد الذي يحدث حولهم وبتحطم آمالهم. أصعب شيء أن تعيش بلا أمل. لقد وصلوا إلى مرحلة شعروا فيها أنه لم يعد لديهم شيء يخسرونه بعد الآن لذا قدموا دماءهم.

كان حضور النساء في الأيام الأولى قليلا، ثم بدأ يتزايد. بتُّ أرى نساء من كل الأجيال ومن مختلف الشرائح الاجتماعية. بت أرى الجدات اللواتي يجهزن الخبز والسياح (الخبز المصنوع من طحين الأرز) وبائعات الشاي إلى جانب الشابات العصريات.

رأيت المرأة البغدادية في ساحة التظاهر بصورتها الفولكلورية التي لم أرها منذ زمن طويل، تلك الخاتون التي ترتدي العباءة والشيلة و"الجلاب" في جانبها، تقف تدعو ربها وهي ترتدي محبس شذر في يدها وتردد "الله ينصركم الله يحفظكم ويبعد الشر عنكم".

رأيت أمهات بعمري قدمن مع أبنائهن ورأيت صبايا وشابات وهن يهتفن بصوت عال بكل طموح الشباب وجموحه، الذي أشعر أننا فقدناه مع أشياء كثيرة فقدناها. كنا (كجيل) نتعثر دائما بخيبات كثيرة لكن هؤلاء الشابات والشباب أقوياء أكثر منا وما زالوا بعنفوانهم وأتمنى أن لا يمروا بما مررنا به. لم اتمكن من حبس دموعي في كثير من الحالات الإنسانية ومواقف التضامن التي شهدتها هناك. وهي كثيرة لا أستطيع اختصارها.

شاهدت قصصا عديدة، رأيت امرأة فقدت اثنين من أبنائها (شهداء) وجاءت إلى الساحة مصرة على إعداد الخبز وتوزيعه على المتظاهرين، قائلة: "أنتم أبنائي الذين ستعوضوني عن أبنائي".

ورأيت امرأة كانت توزع الطعام على المتظاهرين وقد قدمت دون علم زوجها لتكتشف أنه في الصفوف الأمامية للمتظاهرين على الجسر، والتقيا قرب الجسر، على الرغم من أنه المكان الأخطر بالنسبة للمتظاهرين، إذ يمثل من يقفون هناك الساتر الأول وطليعة المتظاهرين الذين كلما تقدموا أبعدوا القوات الأمنية ومدى القنابل المسيلة للدموع عن ساحة التحرير. لذا يتحدى المتظاهرون القوات الأمنية (ويسمونها قوات مكافحة الشعب وليس الشغب) ويحاولون دفعها إلى الخلف إلى منتصف الجسر.

قالت مريم من مدينة كركوك: تخرجت من الجامعة لكنني حتى الآن لم أحصل على وظيفة.

عندما بدأت المظاهرات كنت أراقبها من مدينتي البعيدة عن بغداد، وبدأت أرى صورا مؤثرة في مقاطع الفيديو التي انتشرت تبين شجاعة الشباب، لم أستطع كبح تدفق دموعي أو النوم وأنا أفكر في أوضاع المتظاهرين ومصيرهم.

قلت لزوجي وهو خريج جامعة ولم يحصل على وظيفة مثلي "أريد أن أذهب إلى التحرير" فرد مستغربا "وين تروحين؟!"

قلت "أذهب إلى بغداد. أريد أن أكون معهم". رد "لكن الوضع خطر في ساحة التحرير". بيد أنه تراجع في النهاية عندما رأى إصراري على الذهاب والمشاركة في أي شيء مهما كان بسيطا مع أبناء وطني.

وبدأنا بجمع تبرعات وقررنا الذهاب إلى بغداد من دون علم أهالينا لأنهم كانوا يخشون على حياتنا ويرفضون ذهابنا.

عندما وصلنا إلى بغداد ذهبنا قرب ساحة التحرير وسألنا عن المستلزمات الأكثر احتياجاً لدى المتظاهرين وسجلناها، ثم بدأنا برحلة تسوق وجمعنا ما نستطيع شراءه بالمبلغ المتوفر لدينا.

ذهبنا إلى موقع التظاهر من منطقة قرب جسر السنك، لكننا واجهنا إطلاق نار قربنا فحاولنا أن نحتمي في مكان قريب حتى نتمكن من مواصلة طريقنا وإيصال المساعدات التي بحوزتنا، وساهمنا مع الآخرين في مساعدة البعض ممن تعرضوا لقنابل الغاز المسيل للدموع، (التي يسمونها دخانية).

وخرجنا نبحث عن طريق آخر يوصلنا إلى ساحة التحرير، حتى وصلنا ونحن محملين بالمستلزمات الطبية والوقائية والمأكولات.

واضافت مريم أنا سعيدة لرؤية كل شرائح الشعب العراقي تجترح مثل هذه البطولة وتتكاتف بهذه الطريقة ولن يستطيع أحد تفريق شعبنا بعد ذلك.

رسل جواد . مهندسة قالت: على الصعيد الشخصي، كنت أحلم باليوم الذي أرى فيه وجها مدنيا لمدينتي التي تكالبت عليها الحروب والأزمات والأعراف العشائرية الطائفية.

كنا نفتقد رؤية فتاة جامعية تسير في الشارع أو حتى تلبس ما تحب. فمجتمعنا يُضعف الفتاة جدا ويحد كثيرا من حريتها، ولكن بعد أن خرجت إلى ساحة الاعتصام لم أتمالك نفسي وأنا أرى شاباتنا بمختلف الاختصاصات والتشكيلات وهن يسرن في الطريق برفقة زملائهن وينادين بتغيير النظام بصوت عال ويهتفن بالحرية والمدنية التي لم نرها يوما، لكني شهدت معناها في المظاهرة عندما رأيت الطبيبة بزيها والمهندسة والأستاذة والمعلمة وهن يملأن المكان بهتافاتهن ضد كل من يريد أن يضعف أصواتهن.

لقد بتنا نعمل بترتيب عال وعفوي وبدون توجيه كخلية نحل واحدة ومتصلة ومنظمة.

كان شعورا غريبا جدا ويوما انتظرته طويلا ولم أتوقع حدوثه بهذه السرعة، أن أرى الفتيات يتسابقن بالخدمة والمشاركة في ساحات التظاهر وهن بقمة الوعي والثقافة.

كان للمرأة دور فعال جدا في إدامة زخم المظاهرات في هذه المحافظة، حيث تشكلت فرق نسائية خاصة للتبرع بالدم لجرحى المظاهرة وقامت فرق أخرى بحملات تبرع لشراء الغذاء والدواء وما يحتاجه المعتصمون.

"العادلـون"

■ فاضل العزاوي

الى شبان الانتفاضة الرائعين الذين أعادوا لنا العراق المختطف منذ عقود. بضربة واحدة أسقطوا الأصنام كلها وفتحوا لنا الطريق الى النجوم

وحدهم
حفروا في الجبال الصخور
بأظافرهم
ليشقوا النهار
الينا
الى بعضنا
ثمة النار
أفعى سرت
في الهشيم
تحت أقدامهم
فاحترقنا بهم
أطلق الليل صرختهم
دائما
في المتاهة
من أجلنا
في الظلام رأوا
كل شيء.

متظاهرو ساحة التحرير يستبدلون الانترنيت بالأبواق

ابتكر متظاهرو ساحة التحرير طرقا عدة للتواصل خلال التظاهرات والتجمعات الاحتجاجية لتجاوز مشكلات قطع خدمات الإنترنت والتشويش على الاتصالات الهاتفية من قبل الحكومة، وبين تلك الطرق استخدام الأبواق التي يطلقونها على شكل مجموعات لتعريف الناس بوجود تظاهرات في منطقة أو شارع، أو التحذير من خطر قادم خلال التظاهرة.

وبدأ المحتجون باستخدام الأبواق منذ قررت الحكومة العراقية قطع الإنترنت عن معظم مدن البلاد، وقامت بالتشويش على الاتصالات الهاتفية لتحجيم التواصل بين الناشطين، وقال الناشط نبيل عباس: "ابتكرنا وسنبتكر طرق تواصل مختلفة، ومنها الأبواق الهوائية التي يستخدمها مشجعو كرة القدم، والبعض يشتريها من الأسواق، أو يصنعها في المنزل من قناني المشروبات الغازية الفارغة، وباتت أصوات الأبواق وسيلة لإعلان انطلاق تظاهرة في مكان ما، أو الحشد للتظاهر، وتعريف المواطنين بوجود احتجاجات في الشوارع".

ومع انطلاق التظاهرات الشعبية في البلاد مطلع شهر أكتوبر/ تشرين الأول الماضي، كان الناشطون يحشدون للاحتجاجات عبر مواقع التواصل الاجتماعي، كما كانوا ينقلون عبرها أخبار التظاهرات وأماكن التجمع، لكن الحكومة لجأت إلى قطع خدمات الإنترنت بهدف منع تواصلهم.

وقال الناشط علي طعمة: "في مدينتي الناصرية، حجبت عنا الحكومة كل أشكال التواصل، فقطعت الإنترنت، وقامت بالتشويش على شبكات الهاتف، ومنعت أي تغطية إعلامية للاحتجاجات، فابتكرنا طرقا جديدة للتواصل من بينها استعمال الأبواق عند انطلاق التظاهرات".

وبين طعمة أن "الأبواق مكنتنا من تجاوز عقبات التواصل، فعندما ننطلق للتظاهر في الشوارع يبدأ عدد من المجموعات الشبابية النفخ في الأبواق بشكل جماعي، فيكون الصوت عالياً، فيعلم الناس أن التظاهرات بدأت، فيخرجون للمشاركة".

وسخر متظاهرون وناشطون من قرارات الحكومة التي اضطرت العراقيين لاستخدام وسائل بدائية للإبقاء على ديمومة احتجاجاتهم، معتبرين أنها تحاول إعادة البلاد إلى عصر ما قبل وسائل التواصل.

وقال الناشط سيف علاء: "قطعوا الإنترنت، فصار الشباب يستخدمون البوق حتى يعلم الناس ببداية التظاهرات. الحكومة تريد أن تنتصر على الشعب لا أن تخدمه".

واعتبر الناشط جعفر العراقي أن الحكومة العراقية فشلت في مواجهة ابتكارات المتظاهرين الذين "صاروا يستعملون البوق لتنبيه الناس إلى التظاهرات لأن عادل عبد المهدي قطع الإنترنت، راح تنجلط الحكومة".

وترى شيماء الشمري ان الحكومة العراقية أعادت الشعب العراقي إلى العصر الحجري عندما أقدمت على قطع الإنترنت: "تخيلوا في عام ٢٠١٩، العراقيون يستخدمون البوق حتى تعرف الناس أن هناك مظاهرات لأن الحكومة قطعت الإنترنت. رجعونا للعصر الحجري عدولي وربعه".

عدسة: محمود رؤوف

تظاهرات تشرين

العلم العراقي نجمُ الاحتجاجات في ساحة العراق

■ سليم سوزه

ليست أول تظاهرة عراقية ولن تكون الأخيرة التي تُتَهم بتبعيتها لهذه الجهة أو تلك. نحن أمام مشهد يتكرر باستمرار. "رغد صدام حسين" تقود التظاهرات، وبقايا البعثيين يروجون للفوضى. سفارات غربية تدعم المتظاهرين وجهات خارجية تحرّض على التخريب. هذه نماذج منتخبة من الإتهامات التي توجه دائماً للمتظاهرين العراقيين. إنها نماذج يستريح خلفها عقل نائم على فرضية المؤامرة، ليس لأنه لا يعرف، بل لأنه يريدها هكذا لأسباب متعددة، من بينها الطائفية والوظيفة وشعور الراحة النفسية بالإمتياز الإجتماعي والمكانة الطبقية.

وبالحديث عن تظاهرات العراقيين الأخيرة، تظاهرات تشرين، هناك أيضاً مَن يبرر وقوفه ضدها بذريعة سهلة وناعمة إنها بلا هدف ولا تنظيم ولا قيادة. قد تكون كذلك فعلاً، ولكن الأهم فيها (وفي أي مظاهرة شعبية) هو معناها، والمعنى في هذه التظاهرات كبير جداً، وهو الأهم في أي حراك مجتمعي.

ذلك المعنى الذي يقلب معادلات التوازن في الشارع ويؤسس لوعي جمعي صارت كل الأحزاب السياسية تحسب حسابه، حتى تلك التي احتكرت حراك "ميدان التحرير" لسنين طويلة نتيجة عمامتها أو فصيلها المسلح. المعنى الذي يقول لنا إن الشارع العراقي اليوم وصل الى أقصى لحظات النضج، وهي اللحظة التي يخرج فيها منددا بسلطته دون الحاجة الى رجل دين ولا سياسي ولا نخبة مثقفة متصدية ولا حتى آيديولوجيا محفّزة، بل شعور باليأس فقط يؤسس لأعلى درجات الغضب، وهذا ما يخيف الطبقة المهيمنة على السلطة، من ضمنها "إصلاحيو" الأمس القريب.

لقد مضى عام تقريبا على حكومة السيد عادل عبدالمهدي، ذلك الذي ظل يمسك العصا من منتصفها محاولاً تأجيل الاصطدام بأي طرف. ربما فات هذا الرجل صاحب الجذور الماركسية أن لعبة السياسة لا تتغلب على التاريخ، وأن محاولة التوفيق بين المتناقضات في بنية الدولة السياسية لا يمكن لها أن تضبط ديناميات الحراك في بنى الدولة الاجتماعية الى الأبد. هذا تاريخ لا تكتبه السياسة وحدها، وأنما يشترك معها الاقتصاد والثقافة والدين وضرورات مجتمعية أخرى غير معنية بلعبة التوازنات ولا تفكر إلّا بحاجاتها الأساسية واليومية. ضرورات لا تحتاج سوى الى شرارة بسيطة وقليل من الاندفاع كي تنفّس عن غضبها وتنفجر بوجه السلطة. وها هو ذا شبّان تشرين يجدون في تدمير "بسطياتهم" وتجريف صفائح بيوتهم المتجاوزة وعدم توظيفهم في المؤسسات الحكومية، إضافة الى حصر سلطة المال بطبقة أبناء المسؤولين والمنتفعين، ناهيك عن القرارات غير المفهومة التي تطال "رموزهم" العسكرية شرارات (وليس شرارة واحدة) تفجر فيهم طاقة الخروج الى الشارع والتهديد بإسقاط النظام كله.

لقد كتبت في لحظة اعلان عبد المهدي رئيساً للوزراء من إنه يمثل آخر لحظات الأمل في أولى محطات اليأس وأراني أنظر الى اليأس الآن كيف يحرك العراقيين بلا خوف من سلطة ولا قلق من مئة فصيل مسلح.

تتنوع الفعاليات والأنشطة داخل ساحة التحرير وفي ساحات العديد من المحافظات التي تحولت أجواؤها إلى انتفاضة حقيقية على الطائفية والحزبية والتخلف. وأكثر من ذلك، أنها فككت دكاكين الخطاب الطائفي للقوى والأحزاب التي تعتاش عليه، وأبرزت الهوية العراقية مجدداً، بعد نحو 16 عاماً من طمسها إثر الاحتلال الأميركي وما ألحقه بالبلاد من دمار وانقسامات.

فمن توزيع الكتب وعزف الموسيقى والغناء، إلى حلقات القصص والحكايات كل ليلة، وصولاً إلى الرسم على الجدران، والوجوه والأذرع أيضاً. فعاليات كثيرة يشهدها الشارع العراقي الذي هبّ ضدّ كل زعماء الطوائف، لنستمع إلى هتافات تطاول أشخاصاً لم يكن أحد يجرؤ، قبل هذه الانتفاضة، على ذكرهم.

من الفعاليات اللافتة في هذا السياق، هي الرسم على الوجوه وبعض الأعضاء في الجسم، مثل رسم العلم العراقي على وجوه وأذرع العراقيين المشاركين في التظاهرات، بما يمثّل تعبيراً عن أن الجميع يشتركون بوطن واحد، مسقطين أي انتماء آخر، سواء أكان طائفياً أم حزبياً، كما يقول الشاب محمد الوائلي، الذي تحدث إلى "العربي الجديد" عن رسمه العلم على وجه شاب استشهد قبل أسبوع بالغاز، ورحل والعلم مرسوم على وجهه. يشير الوائلي إلى أن العلم يعبّر عن هويّة المواطن العراقي، إذ يعتلي جبهته أو خده أو صدره أو ذراعه، وهي رسالة للأحزاب وأصحاب الخطاب الطائفي.

يجلس الرسامون على أرصفة التحرير، وبالعادة يملكون فرشاة وعلب ألوان، حسب ألوان العلم العراقي، ويشترونها على نفقتهم الخاصّة، كمساهمة منهم في هذه التظاهرات، ولا يقتصر الرسم على العلم العراقي وحسب، بل تُرسم خارطة العراق أيضاً.

عبد الله سالم، وهو أحد المتظاهرين، يقول في حديث إلى موقع "العربي الجديد": "عوّضنا صور الزعامات بصور تخصّ العراق، كالخارطة أو العلم. يرحل الجميع ويبقى هذا الوطن خيمة للكل، ولا شيء أغلى منه". يضيف: "نتمنى أن تستمر ساحة التحرير بفعالياتها؛ فهي تسحق كل كتل وعقد الطائفية وترسبات السنوات الماضية".

من جهته، يقول ثائر سامي: "طلبت من الرسام أن يزين ذراعي بالعلم العراقي، إيماناً مني بهذا العلم الذي يمثّل الوطن وينفي التحيّزات الحزبية والطائفية". يضيف: "نحن أصحاب قضية، نزلنا للوقوف في وجه الفساد الحكومي والنهب، من خلال التظاهر السلمي، وسنبقى متظاهرين سلميين حتى النصر".

يبيّن سامر محمود أنه من المتظاهرين الثابتين في الصف الأول على جسر الجمهورية، قائلاً: "أرسم خلال استراحتي العلم العراقي على جسدي، فأنا في حاجز الصد الأول، ونتعرض إلى ضربات كثيرة من قوات مكافحة الشغب. وعليه، أستغل وقت استراحتي بالجلوس مع أصدقائي الرسامين ليرسموا لي العلم العراقي، وهي رسالة لأخي في الوطن الذي يحاول قمعي، لكي يرى أنّني أخوه وشريكه في الوطن".

أما محمد شهاب فيقول في حديث إلى "العربي الجديد": "تعرّضت إلى الإصابة قبل أيام، وبعدما تلقيت الإسعافات من قبل الأطباء المختصين في ساحة التظاهرات، أرسم اليوم العلم العراقي على صدري، لأؤكّد أنّني باقٍ هنا في ساحة التحرير إلى أن ننتصر".

يقول محمد حربي لـ موقع "العربي الجديد": "هوايتي الرسم، وحضرت إلى ساحة التحرير من أول يوم للتظاهرات، فبادرت بالرسم على جسد صديقي. أعجبت مبادرتي الكثيرين، وصارت ظاهرة وانتشرت بين المتظاهرين، والآن يتوافد المحتجّون من كل الأعمار لرسم العلم العراقي على أجسادهم، تعبيراً عن رمزية الوطن الذي سرقه منا الفاسدون".

يضيف حربي: "أنا خريج جامعة بغداد كلية اللغات، قدمت أكثر من 25 طلباً للتعيين ولم أحصل على وظيفة، حالي حال كثيرين من زملائي. نحن هنا لمواجهة الفساد القائم على المحسوبيات والوساطات".

الحاج جبّار طعيمة الذي اصطحب معه إلى الشارع ابنه وحفيده، ليحصلا هما أيضاً على رسم للعلم العراقي على جسديهما. يقول: "ها أنا بصحبة ابني وحفيدي، في الميدان، نتظاهر مطالبين بوطن واحد لنا جميعاً"

التكافل الاجتماعي أحد أسباب استمرار احتجاجات تشرين

□ عامر مؤيد

ديمومة الاحتجاجات الشعبية لم تكن بتواجد المحتجين في ساحة التحرير وسواتر جسر الجمهورية والسنك، بل إن للدعم اللوجستي دوراً كبيراً في استمرار هذا الحراك الى يومنا هذا.

خيم الاعتصام ووجبات الطعام المستمرة على مدار اليوم وكذلك الأدوية، كلفت الكثير من الأموال لكن التكافل الاجتماعي بين العوائل العراقية كافة وكذلك ميسوري الحال، جعل الأمور تسير بشكل أسهل.

أحمد القيسي، أحد العاملين في الدعم اللوجستي والذي يدعم المتواجدين في سواتر الجسور وشواطئ نهر دجلة بالطعام والسكائر يقول ل "المدى"، إن "الطعام في الأيام الأولى كان الحصول عليه صعباً والكميات التي وصلتنا لم تكف وجعلت البعض ينام جائعاً".

وأضاف بالقول، "بعد استمرار الاحتجاجات، تصلنا آلاف وجبات الطعام بشكل يومي من عوائل بسيطة وبعضها أغنياء، وأصحاب مطاعم معروفة، حتى أصبحنا لانحتاج الى الطعام".

وأشار الى أن "الطعام الذي يصل لساحة التحرير الآن، يكفي للمتواجدين في سواتر الجسور أجمعها والمطعم التركي وكذلك المتواجدين في شواطئ دجلة".

وبين إن "الوجبات التي تصلنا لاتقتصر على "الساندويشات" فقط، بل هناك الحلويات ومشروبات الطاقة التي تساعد على التركيز والبقاء مستيقظين لفترة طويلة".

زين العابدين الزبيدي أيضاً من المساهمين في موضوعة الدعم اللوجستي، يحدثنا عن الأمور التي تنقص المتواجدين منذ مدة بعيدة حيث يقول ل المدى إن "الكثير من المتظاهرين وبالأخص المعتصمين اصبحوا بحاجة الى الملابس الداخلية وأدوات الحلاقة وكارتات الرصيد".

وبين أن "الأموال البسيطة التي تصلنا من متبرعين مختلفين، اقتطعنا جزءاً منها لغرض شراء هذه الاحتياجات ورفد المعتصمين بها"، مبينا أن "فنادق منطقة البتاويين البعض منها سمح للمعتصمين بالغسل فيها".

بغض النظر عن أهمية الطعام، فإن موضوعة السكائر كانت أبرز ما يحتاجه العدد الاكبر من المعتصمين وتم توفير مئات الصناديق من السكائر وبنوعيات مختلفة".

سرمد علي يسرد ل "المدى" إحدى القصص التي صادفته أثناء قيامه بتوصيل الطعام للمتواجدين في جسر السنك قائلاً "أوصلنا الطعام الى المعتصمين هناك لكنهم رفضوا ذلك".

وأضاف إن "المعتصمين طالبوا بالسكائر ورفضوا تناول الطعام بدونها في موقف مضحك كثيراً، وبالفعل عملنا على تجهيزهم بالسكائر حتى يقبلوا أخذ الطعام".

وبين أن "الوضع الآن مستقر من ناحية الطعام والسكائر وبقية الأمور اللوجستية وتم وضع جدولة احتياج وتعنى بالنقص في بعض المواد للمتظاهرين".

النقص الوحيد والذي قد يحدث بشكل مفاجئ هو الأدوية والمغذيات نتيجة سقوط أعداد كبيرة من الجرحى في وقت واحد ولكن يتم تعويض النقص بعد ساعات قليلة.

رُسل إحدى المسعفات في المفارز الطبية تقول إن "المغذيات هي أكثر ما يحتاجه المصابون وفي حال سقط عدد كبير من الجرحى فإننا نكون بحالة نقص ونحتاج الى التعويض".

وأضافت بالقول، ل "المدى"، أن "الكثير من أصحاب المذاخر تبرعوا بالأدوية والمغذيات وقسم آخر قام بخصم كبير من الأسعار، فيما هناك تبرعات تصل من بعض العوائل للأمور الطبية".

وأشارت الى أن "النقص كان في الأيام الأولى من الاحتجاجات حيث سقوط عدد كبير من المحتجين جراء الغاز المسيل للدموع وما يسببه من اختناق لكن الآن هناك مصابين وهم ليسوا بالعدد الكبير".

العدد(4543) السنة السابعة عشرة – الاحد (10) تشرين الثاني 2019
http://www.almadapaper.net Email: info@almadapaper.net

عدسة: محمود رؤوف

ثورة العراق الجميلة

اندبندنت: نساء يخاطرن بحياتهن للالتحاق بمحتجين يطالبون بتغيير سياسي

مـرة أخرى تحـدى محتجون في العراق تهديدات العنف للالتحاق والمشاركـة بمظاهرات شعبية معادية للحكومة عمت مناطق العراق المختلفة . من بين آلاف المواطنين الذين نزلوا الى الشوارع للمطالبة بأصلاح النظام السياسي هـنّ من النساء وطالبـات الجامعات . بعد عقود من الحروب والعنف والحصار التـي ألقت بتبعاتها على نساء هذا المجتمع بالذات ، فإن ما يحصل من مشاركة المرأة في هذه الاحتجاجات يعد تطوراً متميزاً .

□ ترجمة حامد أحمد

نساء مضى عليهن وقت طويل وهن مهمشات ولا يصدر لهن صوت وسط تقاليد اجتماعية محافظة ، وقد قررن الآن بان يوصلن أصواتهن للأخرين . وبتعبير منهن عن غضبهن وهن يشاهدن العنف الذي يتعرض له المحتجون العزل عبر شاشات التلفاز ومواقع التواصل وكذلك حالات القتل التي وقعت بين صفوفهم فقد قررن الكف عن صمتهن والخروج للالتحاق بالاحتجاجات .

مريم ٢٣ عاماً ، مواطنة محتجة من بغداد قالت " نحن نريد وطناً حقيقياً ، نريد دولة مدنية ، ونريد استرجاع أموالنا التي سُرقت ."

نور ٢٠ عاماً ، متظاهرة من ميسان قالت إنها قررت المشاركة بالاحتجاجات لأنها لم تكن أبداً مقتنعة بالوضع الذي يعيشون فيه . وأضافت بقولها : " لا يمكن لي أبداً أن أقبل بأن أحكم من قبل أشخاص تكون أحزابهم موالية لبلدان أخرى ، يتبعون اجنداتهم الخاصة ومصالحهم الشخصية . الرغبة الحقيقية للعيش في بلد حر هو السبب الرئيس الذي جعلني أنزل الى الشارع ."

حقيقة كون المظاهرات بدون قائد ولا تنتمي لأي حزب ، هو ما شجع الفتيات الأخريات من اتخاذ هذا القرار . هدى ٢٩ عاماً ، ناشطة بيئية من بغداد ، تخوفت في بادئ الأمر من احتمالية مصادرة الاحتجاجات كما حصل في السنوات السابقة ولكنها اطمأنت عندما أدركت أن موجة الاحتجاجات هذه لا تتبع أي أجندة سياسية .

رداءة التعليم كان عاملاً آخر من عوامل تحفيز الاحتجاجات . عُلا ، طالبة مدرسة ثانوية من محافظة بابل ، قالت : " مستقبلنا مجهول ووضعنا التربوي يعاني من حقيقة مزرية ." في حين تقول ، آلاء غسان ، طالبة هندسة ميكانيكية من بغداد ، إن شهادتها الجامعية " ليس لها قيمة في بلد لا يوفر لمواطنيه حقوقهم الاساسية ."

رغم أنه غالباً ما يكون هناك رفض من قبل آباء أو أزواج للخروج خوفاً على سلامتهن ، فإن نساء تخطين هذا الحاجز وذهبن للاحتجاج ، في بعض الأحيان يلتحقن بالتظاهرات سراً .

في مجتمع لا يختلط فيه الجنسان عادة ، فإن الذهاب للاحتجاج جنباً الى جنب مع الرجال يدل على أن هذا الحاجز قد كُسر . البعض يعتقد بأن هذا الشيء يعتبر انقلاباً على التقاليد والأعراف القديمة . المتظاهرة ، عائشة ٣١ عاماً ، تقول " كانت الحكومات والأحزاب يحاولون إسكات النساء والفتيات ولكنهم فشلوا ".

مريم وخطيبها أحمد قررا تحدي محظورات أخرى عندما التقطا صورة وهما يقبلان أحدهما الآخر أثناء ارتدائهما كمامة الوقاية من الغاز في ساحة التحرير . الصورة لاقت رواجاً واسعاً في مواقع التواصل الاجتماعي ولكنها لم تسلم من الانتقادات .

في مكان آخر كانت هناك تجربة مختلفة . عُلا ١٥ عاماً ، طالبة ثانوية من كربلاء ، قالت إنه تم توبيخها من قبل قسم من الرجال عندما قامت هي ومجموعة من الفتيات بترديد شعارات ضد أحزاب إسلامية . ناشطة أخرى من كربلاء في مجال الدفاع عن حقوق الإنسان ، قالت إنها عايشت نفس التجربة من التوبيخ والانتقاد بعد أن التحقت بالتظاهرات .

وقالت الناشطة أيضاً " كنا قليلين ولم يجلب ذلك اهتماماً جدياً ، ولكن هذا الأمر تغير فيما بعد عندما اعطت اضرابات الطلبة زخماً وتشجيعاً للمشاركة النسوية في التظاهرات ."

المشاركة الواسعة في الاحتجاجات عبر العراق جلبت شعوراً قوياً لدى النساء بالانتماء والفخر . في بغداد ، بشكل خاص ، تحوّلت ساحة التحرير الى عراق مصغر حيث يجتمع الناس لخلق مجموعة متنوعة يداوون من خلالها جراحهم ويستعيدون هوياتهم الوطنية ، ويعيدون كذلك كتابة تاريخهم الحاضر بعيداً عن الطائفية والفوضى والانقسامات والمخاوف.

بناية المطعم التركي المهجورة التي لجأ اليها المحتجون للاحتماء من إطلاقات القناصين قد أصبحت رمزاً أيقونياً لوحدة العراق .

الاحتجاجات اعطت للعراقيين أملاً بمستقبل العراق وأن الشعور بالانتماء حفّز نساء من مختلف الأعمار للمشاركة في أنشطة مختلفة في الساحات حيث تقام فيها احتجاجات . تنوعت المشاركات بين التبرعات وتنفيذ حملات تنظيف وطبخ وخبز . وعلى غرار ذلك قام أطباء وأطباء اسنان وصيادلة بتنفيذ حملات على مدى أيام في ساحة التحرير لتوفير خدمات طبية للمتظاهرين .

ليس هناك من شك من أن هذه الانتفاضة تعتبر نقطة تحوّل للنساء ، ولكن الطريق تجاه حريتهن و حقوقهن ما تزال مليئة بالمعوقات . حياة النساء العراقيات دائماً ما تتعرض لتهديدات من قبل جماعات مسلحة وجهات عشائرية . العام الماضي شهد مقتل عدد من الناشطات وشخصيات مواقع التواصل الاجتماعي . في مستهل شهر تشرين الأول تم اغتيال ناشطة وزوجها في منزلها .

بينما تدخل الاحتجاجات شهرها الثاني تم اختطاف الطبيبة والناشطة صبا المهداوي من قبل مجموعة مجهولة وهي في طريقها للبيت . اختطافها بعث برسالة ترويع لمحتجين و ناشطين آخرين رأوا في ذلك كمحاولة لتخويفهم للاستسلام والركون .

ولكن النساء لم يتنازلن ورفضن الركون . حنين ٢٠ عاماً طالبة من مدينة بابل قالت " نحن جيل المستقبل . كأطفال عشنا مراحل سقوط النظام السابق وما حصل بعده . وكمراهقات عشنا خلالها مرحلة الارهاب وداعش . وفي مرحلة الشباب عشنا مرحلة الحكومات الفاشلة حيث سرقوا حقوقنا وحقوق أطفالنا . لقد حان الوقت للتعبير بصوت عالٍ ضد كل هذا ."

■ عن اندبندنت

■ محمد عارف

"لو نظر القاتل في عينيك ربّما استحى، عينان تشرقان بالأمل. أليس ذاك يكفي أن تُشيعا المرح للحظة، تكُف فيها دورة الأجل؟.. يا أَنَس الجميل والبطل، مثلك لا تغمض عيناهُ من الموت، ستنظران تنظران، حتى يسقط القاتل ميتاً من فداحة الخَجل». ذلك ما كتبه المهندس الاستشاري والشاعر إبراهيم البهرزي، ينعي «أنس أحمد» من مدينة الحرية في بغداد، والذي اقتطفه الموت وردةً في عمر الورود. وهذا هو العراق، شهداؤه أحياء، وأحياؤه شهداء.

ويعلن بيان عنوانه «رابطة هاشتاق مشاريع بغداد» عن «إنجاز إنارة بناية المطعم التركي الذي صار من معالم انتفاضة العراقيين الذين باشروا بأعمال تأهيل وترتيب محيط جدارية فائق حسن، وهي من أهم الجداريات التي تتوسط العاصمة بغداد، حيث أجريت لها أعمال الصبغ، والإنارة، والزراعة، بجهود وأموال الشباب المتواجدين، والداعمين لإخوانهم المتظاهرين في ساحة التحرير ومحيطها». ولا يهدم فتيان الثورة العراقية الجميلة ولا يقتلون، بل يبنون، ويبدعون أعمال الفن.

و«سلامٌ عليك وعلى رافديك، عراق القيَم. فأنت مزارٌ وحصنٌ ودارٌ لكل النعم»، كلمات نشيد عراقي دوّنته الفنانة العراقية عفيفة لعيبي فَي ملصق صورة فوتوغرافية كلوحة بالألوان الانطباعية لـ«جسر الشهداء»، وفوقه وتحته على ضفاف دجلة ناس ورايات. وأعمال عدة للفنان ضياء العزاوي المشهور عالمياً، بينها لوحة بالأسود والأبيض تُصوِّر فتاةً ملفعة بالكوفية، تُحلِّق حولي رأسها طيور، وتتوّجها عبارة «انتفاضة سلمية.. المجد للشهداء». وملصق صممه العزاوي من صورة منحوتة تجريدية للنحات سعد شاكر ترمز لزوجين متحاضنين، ومخطوط فوقهما قول الشاعر الجواهري «سينهض من صميم اليأس جيل شديدُ البأس جبارٌ عنيد». وتنبض الثورة في أعمال الفنان فيصل لعيبي بألوانه الباهرة وأشكاله الكلاسيكية، وبينها لوحة كأعمال الجداريات المكسيكية، فيها نساء ورجال يسند بعضهم بعضاً وينهض بينهم شاب يحمل راية طويلة حمراء مكتوب عليها عبارة "هبُوا ضحايا الاضطهاد" .

ويافطة عنوانها «خبر عاجل» تقول: "أعلنت وزارة الصحة عن فشل العملية الجراحية لفصل توأم عراقي سني شيعي، واكتشف الأطباء أن لهم قلباً واحداً لا يمكن تقسيمه أبداً، والتوأم بحالة جيدة" .

و«أريد وطناً كحبيبتي، كل شيء فيها جميل»، هكذا كُتب على يافطة يحملها فتى مرسومة على خده راية العراق، وخلفه في الصورة فتيان، ويا لوسامتهم البريئة، وبينهم شاب مُقعد من دون أطراف ساجد فوق دراجة هوائية بأربع عجلات يُسيِّرها بحنكة، وعلى الدراجة ترفرف رايتان عراقيتان.

وتتابع الفضائيات العالمية تغطيتها لحركة الاحتجاجات العراقية، بينها نقل مباشر من تحت نصب الحرية تبدو فيه فتاة تلف رأسها بالكوفية الشعبية العراقية، وتعزف على الكمان نشيد «موطني»، وأفراد خلفها يرددون كلمات النشيد. وترفع عراقيةٌ بالغة الجمال يافطة «اللهم يا من لا تضيع عنده الودائع استودعك وطني وشعبي»، ومخطوط فوقها بالخط الكوفي: «غداً نرد الوطن للوطن». وترصد الفضائيات مَسيرة ترافق فتاة عراقية يوجع جمالها القلب ملفعة الرأس تحمل يافطة مكتوب عليها: «العراق مسؤوليتي»!.. وأغاني مرتجلة ميدانياً تنشدها فتاة عراقية: «يا كاع ترابج كافوري»، تُمجد سائقي سيارات «توكتوك» التي أصبحت عربات إسعاف مجانية للمصابين، وتصور مأثرتهم قطعة خط عربي مبتكرة على شكل سيارة «توكتوك» تقول: «يجود بالنفس إن ضَنّ الجواد بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود».

حجب الأنترنت يمنع تدفق مشاهد حرق خيام كربلاء

متظاهرون يحملون نسخاً محترقة من القرآن الكريم ويتجهون إلى مرقد الإمام الحسين

□ متابعة / المدى

استيقظت كربلاء صباح الجمعة على مشاهد غير متوقعة حيث نقل مراسل "ناس" في كربلاء أن خيام الاعتصامات في ساحة التربية وسط المدينة تم إحراقها وتحطيمها، وذلك بالتزامن مع أحداث مشابهة في البصرة جنوباً حيث أكد متظاهرون إحراق خيامهم بعد اقتحام القوات الأمنية لساحة اعتصامهم قرب مبنى محافظة البصرة، فيما يستمر حظر السلطات لخدمة الأنترنت، الأمر الذي يمنع تدفق المشاهد التي تكشف حقيقة ما يجري. في التفاصيل، يقول شهود عيان، من بينهم منسقون في تظاهرات كربلاء، إن قوات مكافحة الشغب وقوات أخرى يُشتبه في أنها الرد السريع "سوات" إقتحمت ليل أمس ساحة الاعتصام وسط كربلاء، وفرّقت المحتجين، فيما اشتعلت النيران في الخيام، وهو السيناريو ذاته الذي واجهه معتصمو البصرة مساء أمس، حيث أكدت رويترز مقتل ما لا يقل عن ٤ متظاهرين بنيران قوات الأمن.

وأصيب عدد من المتظاهرين في البصرة، مساء الخميس، بعد أن هاجمت قوات أمنية حشوداً تجمعت في موقع الاعتصام السابق وسط المدينة، فيما أطلق متظاهرون نداءات استغاثة عبر الإذاعات حيث تحجب الحكومة خدمة الإنترنت.

وقال مراسل موقع "ناس" الذي كان قريباً من الحدث في تصريح لإحدى القنوات الفضائية إن قوة من الجيش و"سوات" هاجمت حشداً من المتظاهرين تجمعوا وسط المدينة، حين حاولوا بناء خيم جديدة، بعد إحراق الخيم السابقة، نتيجة فض الاعتصام الأربعاء.

وأضاف، أن "القوات أطلقت قنابل الغاز والرصاص الحي نحو المتظاهرين، وفق شهود عيان، ثم طاردت المحتجين الذين فروا تجاه منطقتي "الجبيلة والجنينة".

وبين، أن بعض المطاردين أطلقوا نداءات استغاثة عبر الاتصال بالإذعات المحلية، في محاولة لنقل ما يجري ضدهم، بعد قطع خدمة الإنترنت من قبل الحكومة.

كما أشار إلى أن مصادر طبية قالت إن مستشفى الفيحاء القريبة من ساحة الاعتصام اكتظت بالجرحى، لافتاً إلى أن المنازل القريبة من مبنى المحافظة تواصل إطلاق نداءات بسبب الرمي الكثيف وحالة الذعر التي تخيم على المنطقة.

أما في كربلاء، فقد تحدثت مصادر محلية ، عن "انطلاق مجموعة من المتظاهرين وهم يحملون نسخاً من القرآن تضررت بفعل حريق خيم المعصتمين، وساروا بها باتجاه مرقد الإمام الحُسين رافعين شعارات مناهضة لحملة القمع التي يتعرضون لها، كما رددوا هتافات "يا حسين اشهد عالوا بينا" وهو هتاف دأب محتجو المدينة على ترديده بعد حملات القمع غير المبررة التي يواجهونها". وبسبب حجب خدمة الانترنت لم تصل مشاهد الحرق والتفريق المصورة، فيما يقول ناشطون محليون في المدينة إنهم وثقوا الكثير من تلك المشاهد، وأنهم بانتظار خدمة الأنترنت لبثها إلى الرأي العام.

وأدانت منظمة هيومن رايتس ووتش في تحقيق نشرته صباح اليوم السلطات العراقية باستخدام مختلف أنواع العنف ضد المتظاهرين، لاسيما في كربلاء مع أحداث تظاهرة القنصلية الإيرانية، حيث فرقت القوات الأمنية محتجين غاضبين بالرصاص الحي، وقتلت ما لا يقل عن ٣ شبان، بينهم منتسب في العتبة العباسية، قال أمين عام العتبة أنه كان في طريقه لشراء دواء من صيدلية مجاورة، فيما تحدثت "هيومن رايتس" عن مقتل شخص في أحداث القنصلية كان يصور ما يجري.

وتنفي السلطات على لسان عبدالكريم خلف الناطق العسكري باسم رئيس الوزراء عادل عبدالمهدي، تنفي تورطها بإطلاق الرصاص الحي ضد المتظاهرين، فيما يقلل خلف من مصداقية المشاهد التي تتداولها صفحات الفيسبوك وتُظهر قتلى وجرحى برصاص القوات، ويصف تلك المشاهد بأنها "من صنع الفيسبوك"، فيما يكرر ظهوره على شاشة التلفزيون الرسمي لمطالبة المتظاهرين بالتزام السلميّة.

الاحتجاج
انتفاضة تشرين 2019

العدد(4543) السنة السابعة عشرة – الاحد (10) تشرين الثاني 2019
http://www.almadapaper.net Email: info@almadapaper.net

يوميات ساحة التحرير

المتظاهرون يعيدون الحياة لمعالم التحرير بعد إهمال حكومي

لاشك بان المطعم التركي اصبح احد ايقونات الاحتجاج الذي انطلق مطلع تشرين الاول الماضي، لما شكله من نقطة قوة في بقاء عدد كبير من المتظاهرين فيه ومنذ اليوم الاول.
المطعم التركي او كما يحلو للمتظاهرين تسميته "جبل احد"، بعدما قطنه المحتجون اجروا الكثير من التغيير عليه حتى انطلقت دعوات بجعله متحفا يؤرخ تاريخ احتجاجات ٢٠١٩.

□ متابعة المدى

بداية كان المطعم التركي مهجورا وتفوح منه رائحة كريهة ومع غروب الشمس يصبح مظلماً، لكن اليوم الامر مختلف بعد حملات التطوع التي نفذها المتظاهرون في هذا المكان.

بعدما كان المطعم مظلما، اليوم الكهرباء منتشرة في جميع طوابقه بعد عمل تطوعي خالص، ويقول المسؤول عن اضاءة جبل احد "ج.ر" لـ"المدى" ان المطعم التركي وبعد تواجد المتظاهرين فيه لايام، اصبح من الواجب ادامته لان بقاءه يجعل الاحتجاج مستمرا.

واضاف بالقول إن "العمل استمر ليومين من خلال مد الاسلاك الكهربائية ومن ثم تشغيل الكهرباء في جميع طوابق المطعم التركي، حيث يتم اطفاؤه ليلا والتشغيل يكون طيلة الساعات المتبقية".

واشار الى ان "العمل في المطعم من ناحية الكهرباء لم يقتصر على شخصي فقط بل هناك متطوعون عدة شاركوا في انارة جبل احد وانجاز هذا العمل الذي اعتبره جبارا". رائحة المطعم التركي كانت مقرفة بسبب اهماله وعدم تنظيفه منذ فترة طويلة لكن بجهود المتطوعين ومشاركة قوات الدفاع المدني تم تنظيفه بشكل كامل.

ويقول حسن علي لـ "المدى" وهو احد المتطوعين والنائمين ايضا في المطعم التركي، ان "التشاور حول موضوع تنظيف المطعم، جاء بعد الاستقرار على البقاء فيه".

وبين ان "الدفاع المدني ساعدنا في هذا الامر من خلال مد خراطيم المياه وتم تنظيفه بشكل كامل بواسطة الماء والديتول ايضا، وبعد ذلك تمت ادامة التنظيف فيه بشكل يومي ووفق جدول موضوع في كل طابق".

علي يقول ان "هناك اشخاصا اعتادوا على العيش في المطعم التركي منذ اليوم الاول وتمت جدولة العمل في كل طابق من ناحية التنظيف او الحراسة او ترتيب الطابق كذلك".

الفن التشكيلي وصور الثوار الشهداء، طرزت بها جدران المطعم التركي وعلى امتداد طوابقه العليا، حيث شاهدنا صورة الشهيد صفاء السراي ورسما آخر يحث على عدم استخدام العنف تجاه المتظاهرين العزل".

احد الرسامين، فضل عدم ذكر اسمه اكد لـ"المدى"، ان "المطعم التركي نريد منه ان يكون شاهدا عبر التاريخ على مآثر احتجاجات ٢٠١٩ ولذلك كان واجبا علينا نحن فريق الرسامين ان نكمل المسيرة من خلال اللوحات الموجودة على الجدران". واضاف ان "رسومات عدة تنتشر في طوابق المطعم التركي غالبيتها لشهداء رحلوا خلال الاحتجاجات وكذلك عبارات هذه الثورة مثل "نريد وطن"، "نازل اخذ حقي"، "كلا للقمع".

وبين ان "هناك طوابق تم رسم لوحات تشكيلية فيها ما اعطى جمالية اضافية الى هذا الصرح المهم الذي ستفتخر به الاجيال عبر السنوات المقبلة لما فيه من بطولات للمتظاهرين السلميين".

البعض من ساكني المطعم التركي، اعتادوا في حياتهم اليومية على مشاهدة مباريات كرة القدم فكان لهم ذلك، حيث وضع تلفزيون وستلايت في احد الطوابق وتم تشغيل مباريات الدوريات العالمية ودوري ابطال اوروبا.

ويقول محمد لـ"المدى"، ان "ملية ربط التلفزيون والستلايت كانت سهلة بعد وصول الكهرباء لأرجاء المطعم التركي، واشتركنا بكارت فتح القنوات المشفرة الرياضية والآن بامكاننا مشاهدة جميع المباريات".

شباب العراق وشاباته: نريد وطناً

■ رشيد الخيون

إن سيل المناسبات الدِّينية وانهمار الشَّباب فيها، وكثرة المتحلقين حول المنابر، وفوز الأحزاب والوجوه نفسها في الانتخابات، أعطت فكرة خنوع العراقيين والقبول بواقع الحال، واليأس من التغيير، بل شجعت القوى المتحكمة على التمادي بالفساد والخراب، حتى وصل الحال إلى عرض العراق نفسه بأسواق النخاسة. لكنَّ مشهد ساحة التَّحرير وسط بغداد، وساحات المحافظات الوسطى والجنوبيَّة، ألغى ذلك الإنطباع تماماً، حتى فهِّم أن ذلك السُّكوت كان تأهباً واستعداداً. نجد وصفاً دقيقاً لهذه الظَّاهرة عند محمد باقر الشبيبي (ت١٩٦٠): «ليس السُّكوت من الخنوع وإنما/ هذا السُّكوت تجمع وتحشُّد» (عز الدين، الشعر العراقيَ الحديث).

لم تفهم الأحزاب الطائفية والفئويَّة الحاكمة الأمرَ كي تحذر من الانفجار، مثلما حدث في الأول من أكتوبر الماضي، بعد أن انتهت صلاحية المخدر الطائفي، فكانت تلك الأحزاب والميليشيات تعتقد أن الوسط والجنوب لا يُحركان ساكناً، فما يريداه ليس أكثر من مواكب ومجالس عزاء، ويكفيهما نداء «كل يوم عاشوراء وكل أرض كربَلاء»، حتى جعلوا من الدِّين والإمام الحسين تجارة لا تكلفهم رأس مال، وعلى هذا اللحن تدَخل العقول في غيبوبة.

لهذا، أطبق اليأس على العراقيين وكأن أمرهم انتهى، بعد إدخالهم في المتاهة الطائفية، مثلما كانت قبل ألف عام، بعودة النزاع الديلمي- التركي، الذي كان يهيمن على المشهد ببغداد العباسية، مثلما حصل السَّنة (٣٨٩هجرية)، هؤلاء يحتفلون بعيد «الغدير» وأولئك يردون بالاحتفال بيوم «الغار»، ويتصادمون، فيضمن الطرفان (التركي والديلمي) كثرة الأعوان. فالأول يوم خطبة الوداع عند غدير «خم»، باعتقاد إعلان الخلافة لعلي بن أبي طالب (اغتيل ٤٠ هجرية)، والثاني دخول النَّبي وأبي بكر الصِّدِّيق (ت١٣هجرية) إلى الغار معاً، عند هجرتهما من مكة إلى المدينة(الوزير أبو شجاع، ذيل تجارب الأمم ومناقب الهمم).

أُدخل الشباب العراقيون في هذه المتاهة، القديمة الجديدة، وظلوا مسحورين بها، تغيب وتحضر حسب المواسم، وتدريجياً حذف اسم العراق من على الشفاه، ولوحات التعليم في المدارس، وحلت محله أسماء الطَّوائفَ، وعلت أصوات أصحاب المنابر منذرةً بحرب طائفية ليس لها أولٌ ولا آخر، وأصبح هؤلاء موجهين النَّاس إلى المنحدر، فأحدهم قالها مناشداً الشباب الذي بدأ يخضرُ فيه العرق الوطني، وهو يرد على أحد المتظاهرين: «مَن الأولى حقوقكم أم حقوق أهل البيت؟ هل خرجت بمظاهرة واحدة يوما من الأيام تدين بها رأس المنصور الدوانيقي الموجود في بغداد، هل خرجت بمظاهرة واحدة تدين المناهج الدراسيَّة التي ورد فيها ذكر عمر وأبي بكر قتلة فاطمة الزَّهراء... أيها المتظاهر عار عليك أن تخرجَ بمظاهرة تطالب بها بالكهرباء والماء الصَّالح، ولا تخرج في مظاهرة أن ترفع بها تمثال أبي جعفر المنصور، الذي قتل الإمام جعفر الصَّادق» (يوتيوب، معمم من البصرة)! تصور كيف تُبنى دولة يجول ويصول بها مثل هذا الخطاب!

ليس كلام هذا المعمم ثقافة تخص قائلها والمتحلقين حول منبره، إنما أُخذت تسري في أوصال الوطن، تتنافس مع ثقافة التكفير والقتل، حتى فُجر مرقد العسكريين (٢٠٠٦/٢/٢٢) بسامراء، فوسع الطرفان مجالهما في بث الكراهيَّة، من قبل أصحاب المنابر وفتاوى التكفير المتخادمين بعضهم بعضاً في رسم ثَقافَة الجيل على مقاس عقائدهم.

لا مجال للتبسط في أن الأئمة جميعاً قد قتلوا، مثلما أورده صاحب العمامة البيضاء، وهو على ما يبدو حديث عهد بالعمامة، ويتدرب على الخطاب الطائفي، كي نثبت أن قتل السَّيدة فاطمة (ت١١هجرية) كان عارياً من الصحة، وقتل جعفر الصَّادق (١٤٨هجرية) غير صحيح أيضاً، بشهَادة مؤسس المرجعية الدِّينية الشيخ المفيد (ت٤١٣هجرية) في «تصحيح اعتقادات الإماميَّة»، الذي نفى نفياً باتاً أن الأئمة جميعاً قد قتلوا، وفق حديث متداول ومنسوب للصَّادق نفسه «ما منا إلا مقتول أو مسموم»(المجلسي، بحار الأنوار)!

غير أن أعجب العجب، وبهذه السُّرعة الفائقة، قياساً بأزمنة تغيير أحوال النَّاس النفسية والثَّقافيَّة، يُبعث جيل سليم العقل والتفكير، أنهكته الأزمات، وافترسته الثَّقافة المنبريَّة، ولم يفتح عينه إلا وكل شيء حوله خراب ينعب فيه الغراب، حتى امتزجت الأصوات في ذاكرته، بما عبر عنه محمد مهدي الجواهري في (قف بالمعرة ١٩٤٤):«صَاحَ الغُرَابُ وَصَاحَ الشَّيْخُ فَالْتَبَسَتْ/ مَسَالك الأَمْر: أَيُّ مُنْهُمَا نَعَبَا». أقول مع إجلالنا للفقهاء الذين واجهوا الكراهيَّة بموقف صادق: هل يمكن اعتبار ماورد من الدَّعوة إلى التَّظاهر ضد المنصور وعمر وأبي بكر غير نعيب غراب في أرض خراب؟!

أعاد هذا الجيل- الذي نهض من تحت الرَّماد، وأعطى نحو مائتي شاب ضحايا، وجلهم من ولادات (٢٠٠٣)- تشكيل عراق جديد. كيف خلت حناجر الآلاف المؤلفة من شعار مذهبي أو ديني. كان العراق حاضراً وحده، بعد أن ظن أصحاب المشروع الطائفي كل الظن أنها استقامت لهم، فأخذتهم الدَّهشة من هذا التمرد الجسور، والهادف إلى إعادة العراق بشعار «أريد وطناً»، خُرق الصمت بحركة جوهريَّة تراكمت فتجلت كالعاصفة، هذه الخطوط الحمر، التي رسموها لقدسيتهم باسم الدِّين والمذهب.

صحيح أن العراقيين بدؤوا منذ ٢٠١٠ بالتَّظاهرات، ولم يتوقف احتجاجهم رغم العنف والقتل الذي استخدم ضدهم، واتهموا بالعمالة والعمل على إسقاط الدِّيمقراطيَّة، وأنهم ضد حكم «الشيعة»، وهذا ما قيل في تظاهرات المناطق الغربيَّة، التي سموها بأصحاب «المنصات»، لكن ما هي التُّهم التي تُلبس لهؤلاء الفتية والفتيات، وهم يبحثون عن وطن قد سُلب منهم، يريدون تشكيله للأجيال من جديد، فمَن حكموه لا يهمهم أن البلد صار أرضا يبابا!

أعظم ما حققته نهضة الشَّباب «التشرينية»، أنها أعادت للعالم مكانة العراق والعراقيين، وأثبتت أن الأوطان لا تباع وتُشترى، ولا رابطة أقوى من رابطة المواطنة.

منظمة عراقية: الإنترنت صار لعبة بيد الحكومة التي تفرض حصاراً على العراقيين

□ متابعة المدى

كشفت المنظمة العراقية لقياس جودة الاتصالات، امس السبت، عن فرض الحكومة العراقية سطوتها على شبكة الإنترنت في البلاد بعيداً عن الشركات المزودة.

وقالت في بيان صحفي تلقت المدى نسخة منه إن "الإنترنت الذي يعتبر حقاً من حقوق الإنسان، صار لعبة بيد الحكومة العراقية التي تفرض سطوتها عليه بعيداً عن الشركات والقطاع الخاص، بينما في كل دول العالم لم يعد الإنترنت أداة حكومية، بل هو خدمة تقدمها شركات القطاع الخاص للمواطنين".

وأضافت "بلغت خسائر العراق مئات ملايين الدولارات خلال الأيام الماضية، وتضررت الشركات والمصارف والمشاريع الصغيرة التي تعيش عليها عشرات آلاف العوائل".

وأشارت المنظمة إلى أن "الحكومة العراقية ترتكب خطأً فادحاً في منع تدفق المعلومات، ومنع تواصل الشركات المزودة للإنترنت مع وزارة الاتصالات لمعرفة الوقت الذي سيعود فيه الإنترنت"، مطالبة بـ"ضرورة إعادة خدمة الإنترنت إلى العراق وعدم قطعه من جديد، فالإنترنت حق إنساني يجب ألا تسلبه الحكومة".

ولا يزال العراقيون حتى اليوم محرومين من إمكانية الدخول إلى وسائل التواصل الاجتماعي، رغم عودة الهدوء إلى شوارع البلاد التي شهدت أسبوعاً من الاحتجاجات الدامية وأسفرت عن مقتل مئة وعشرة أشخاص، بحسب المفوضية العراقية لحقوق الإنسان.

وكانت السلطات العراقية قد حجبت إمكانية الوصول إلى فيسبوك وإنستغرام وتطبيق واتساب، قبل أن تقطع الإنترنت تماماً في اليوم التالي، بعد انطلاق موجة الاحتجاجات في الأول من تشرين الأول/ أكتوبر. وانخفضت الاتصالات الوطنية إلى ما دون ١٩ في المئة، ما أدى إلى عزل عشرات الملايين من المستخدمين العراقيين عن الشبكة العالمية. وطال قطع الإنترنيت جميع أنحاء بغداد، كما أثر على البصرة وكربلاء ومدن أخرى. ولجأت السلطات العراقية أكثر من مرة إلى قطع الإنترنت لمواجهة توسع رقعة الاحتجاجات ضدها.

ويقول أحد مؤسسي شركة ناشئة لريادة الأعمال في بغداد "عمليات البيع أونلاين متوقفة منذ ١٢ يوماً، لأنها تعتمد خصوصاً على وسائل التواصل"، ويضيف طالبا عدم كشف اسمه "هناك أكثر من ١٥ ألف صفحة للمبيعات على الأقل في العراق تبيع عادة بين ١٠ إلى ١٥ طلباً يومياً بقيمة ٥٠ ألف دينار (٤٠ دولاراً) للطلب الواحد (أي عشرات ملايين الدولارات حتى اليوم). هذا توقف، وقس على ذلك" .. نقلا عن مونت كارلو الفرنسية .

وأعلنت وزارة الاتصالات نهاية الأسبوع الماضي أنها حصلت على الموافقات الرسمية بشأن إعادة خدمة الانترنت "على مدار الساعة ودون انقطاع"، لكن ذلك لم يترجم واقعا، بل استمرت بسياسة فرض واجبار على الشركات العاملة في مجال الاتصالات.

مناشاهدات من ساحة التحرير

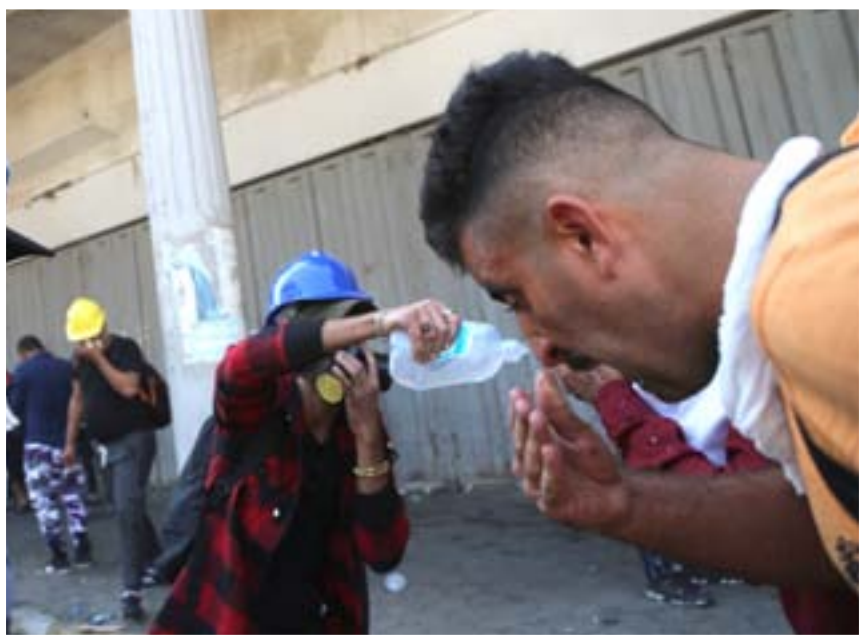

■ عدسة : محمود رؤوف